

تفسير البحر المحيط

@ 67 @ العظيم كما قال : { رَبَّنَا إِنَّا أِذْ ذُنُوبَكُمْ مَن تَدْخُلِ الذُّنُوبَ فَكَادُ

أَخْزَيْتَهُ } . .

{ يَحْذَرُ الْمُؤْمِنِينَ فَسَقُونَ أَن تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنذِرُهُمْ بِمَا فِي

قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهِزُّوهُوَ إِنَّ اللَّهَ مَخْرُجٌ مَّا تَحْذَرُونَ } : كان

المنافقون يعيبون الرسول ويقولون : عسى [] أن لا يفشي سرنا فنزلت ، قاله مجاهد . وقال

السدي : قال بعضهم : وددت أني جلدت مائة ولا ينزل فينا شيء يفضحنا ، فنزلت . وقال ابن

كيسان : وقف جماعة منهم للرسول صلى [] عليه وسلم) في ليلة مظلمة عند مرجعه من تبوك

ليفتكوا به فأخبره جبريل عليه السلام فنزلت . وقيل قالوا في غزوة تبوك : أيرجو هذا

الرجل أن يفتح له قصور الشام وحصونها : هيهات هيهات فأنزل [] قل استهزؤوا . والظاهر

أنَّ يحذر خبر ، ويدل عليه أن [] مخرج ما تحذرون . فقيل : هو واقع منهم حقيقة لما

شاهدوا الرسول يخبرهم بما يكتُمونه ، وقع الحذر والخوف في قلوبهم . وقال الأصم : كانوا

يعرفونه رسولاً من عند [] فكفروا حسداً ، واستبعد القاضي في العالم با [] ورسوله وصحة

دينه أن يكون محاداً لهما وليس ببعيد ، فإنه إذا استحکم الحسد نازع الحاسد في

المحسوسات . وقيل : هو حذر أظهره على وجه الاستهزاء حين رأوا الرسول يذكر أشياء وأنها

عن الوحي وكانوا يكذبون بذلك ، فأخبر [] رسوله بذلك ، وأعلم أنه مظهر سرهم ، ويدل عليه

قوله : قل استهزؤوا . وقال الزجاج وغيره ممن ذهب إلى التحرز من أن يكون كفرهم عناداً :

هو مضارع في معنى الأمر أي : ليحذر المنافقون ، ويبعده مخرج ما تحذرون ، وأن تنزل مفعول

يحذر ، وهو متعد . قال الشاعر : % (حذر أموراً لا تضرّ وآمن % .

ما ليس ينجيه من الأقدار .

.) % .

وقال تعالى : { وَيَحْذَرُ كُفْرَ اللَّهِ نَفْسَهُ } لما كان قبل التضعيف متعدياً إلى

واحد ، عداه بالتضعيف إلى اثنين . وقال المبرد : حذر إنما هي من هيئات الأنفس التي لا

تتعدى مثل فزع ، والتقدير : يحذر المنافقون من أن تنزل ، ولا يلزم ذلك : ألا ترى أنَّ خاف

من هيئات النفس وتتعدى ؟ والظاهر أن قوله عليهم : وتنبئهم ، الضمير أنَّ فيهما عائدان

على المنافقين ، وجاء عليهم لأنَّ السورة إذا نزلت في معنائهم فهي نازلة عليهم قاله :

الكرماني ، والزمخشري . قال الكرماني : ويحتمل أنه من قولك : هذا عليك لا لك . .

ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم : تذيع أسرارهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة ، فكأنها تخبرهم

بها . وقال الزمخشري : والضمير في عليهم وتنبيئهم للمؤمنين ، وفي قلوبهم للمنافقين ،
وصح ذلك لأنّ المعنى يعود إليه انتهى . والأمر بالاستهزاء أمر تهديد ووعيد كقوله : {
اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ° } ومعنى مخرج ما تحذرون مبرز إلى حيز الوجود ، ما تحذرونه من
إنزال السورة ، أو مظهر ما كنتم تحذرونه من إظهار نفاقكم . وفعل ذلك تعالى في هذه
السورة فهي تسمى الفاضحة ، لأنها فضحت المنافقين . قيل : كانوا سبعين رجلاً أنزل □
أسماءهم وأسماء آبائهم في القرآن ، ثم رفع ذلك ونسخ رحمة ورأفة منه على خلقه ، لأن
أبناءهم كانوا مسلمين . .

{ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ ° لَيَقُولُنَّ ° إِنْ مَّا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ °
أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ ° } : أي : ولئن سألتهم عما قالوا من
القبيح في حقك وحق أصحابك من قول بعضهم : انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور
الشام ، وقول بعضهم : كأنكم غداً في الجبال أسرى لبني الأصفر ، وقول بعضهم : ما رأيت
كهؤلاء لا أرغب بطوناً ولا أكثر كذباً ولا أجبن عند اللقاء ، فأطلع □ نبيه على ذلك فعنفهم
، فقالوا : يا نبي □ ما كنا في شيء من أمرك ولا أمر أصحابك ، إنما كنا في شيء مما يخوض
فيه الركب ، كنا في غير جدّ . قل : أبا □ تقرير على استهزائهم ، وضمنه الوعيد ، ولم
يعبأ باعتذارهم